

## الروضة المطهرة والقبر النبوي الشريف

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧) ﴿\*﴾

لتبدأ أولاً في بيان سبب بناء مخزن السر الإلهي هذا ؛ فلقد نزلت الآية الكريمة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (٣٣) ﴿\*\*﴾ في السنة الرابعة عشر للهجرة النبوية في حق أهل بيت المصطفى ؛ أي في حق سيدنا علي ، والحسن والحسين وفاطمة الزهراء .

ولما كان هناك احتمال في المستقبل أن تتوحد كلمة المشركين ، والمنكرين ؛ ويحاولون إصابة جسد النبي الطاهر بأذى ؛ لذلك ؛ فقد قرر أهل بيته الكرام ، وصحابته الميامين ، ضرورة المحافظة علي الجثمان الطاهر ، فبنوا قبة ، كبيرة ، تقيه شرور المنكرين الحاقدين . ثم أضاف المأمون بن هارون الرشيد <sup>(١)</sup> العباسي إليها المباني . وعندما تولى نور الدين شهيد <sup>(٢)</sup> الحكم ، يُقال أن الملعون عدو الدين

(\*) سورة الانبياء آية ١٠٧ .

(\*\*) سورة الأحزاب آية ٣٣ .

(١) المأمون بن هارون الرشيد ؛ ١٧٠ - ٢١٨ هـ = ٧٨٦ - ٧٣٣ م .

هو أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد ، هو السابع بين الخلفاء العباسيين ، والإبن الثاني للخليفة هارون الرشيد ولد سنة ١٧٠ هـ = ٧٨٦ م . درس العلوم والآداب منذ صغر سنه على أيدي مشاهير علماء عصره . كما كان واقفاً وقوفاً كاملاً على الأدب العربي والفلسفة وسائر العلوم الإسلامية . تولى منصب الخلافة في بغداد سنة ١٩٨ هـ = ٨١٣ م ، عُيِّنَ وهو في خراسان علي بن رضا القاظم <sup>(١)</sup> ولياً للمعهد وهو الذي أمر بتبديل الملابس الرسمية من اللون الأسود إلى اللون الأخضر ، وكذلك العلم ، كان عادلاً وحكيماً طوال فترة حكمه . أمر بترجمة الكثير من الكتب عن اليونانية ، واللاتينية ، والفارسية إلى اللغة العربية وكان يمنح المترجم وزن الكتاب الذي يترجمه ذهباً . أسس المجالس العلمية ، وكان يحضر بنفسه جلساتها العلمية . مرض اثناء توجهه إلى محاربة الروم . وتوفي هنالك . ودفن بالقرب من طرسوس . يُعتبر عصره ازدهار للعلوم والفنون ، وتكاملت في عصره معالم الحضارة الإسلامية . « المترجم »

(٢) نور الدين شهيد : هو نور الدين زنكي ، ونور الدين محمود زنكي ، الملك العادل أبو القاسم بن عماد الدين زنكي بن أفسنقر ؛ الإبن الثاني لعماد الدين زنكي مؤسس دولة الآتابكة في نواحي الموصل والجزيرة . ولد سنة ٥١١ هـ / والده سنة ٥٤١ هـ .

فتولى أخوه سيف الدين عرش الموصل ، وقام هو بتخليص حلب من بني الأرقط ، وأسس بها ملكاً ، وكون دولة بعد ضم حماة ، وحصب ، وبعليك ، ودمشق . واستطاع أن يستخلص مدناً وبلاداً كثيرة من الصليبيين منها مرعش ، والرقبة ، ويانياس . كان نور الدين ملكاً شجاعاً ، وعادلاً ، محباً للعلم ، والعلماء ، والأدب ، والأدباء ؛ صاحب خيرات كثيرة ، مما جعل - حتى - أعداءه يبهرون بعدله ، ومنجزاته . أنشأ الكثير من المدارس والجموامع والمبشرات في كل من حلب ، وحماة ، وحمص ، ودمشق ، وبعليك . كما أمر بإنشاء مستشفى كبير في دمشق ، أوقف عليه ، أوقافاً كثيرة ، وجلب إليها أشهر أطباء عصره . سار على منواله صلاح الدين الأيوبي في مصر . توفي نور الدين سنة ٥٦٩ هـ .

المدعو البابا ، قال فى أسبانيا « مهما تكن التضحيات فإننا سنقدم الغالى ، والنفيس ، وندرب الفدائيين ، والمتطوعين اللازمين ، وليذهبوا إلى المدينة ليعيشون فيها فى عزلة عن الناس ، ولكن بالقرب من قبر محمد وليقوموا بحفر نفق تحت سطح الأرض . ولنسرق جسد محمد ، ولنحضره إلى روما » .

كان البابا الملعون يعرف كثيراً من اللغات . وقد قام فعلاً ؛ بإرسال عشرين فدائياً من رجاله ، وأتباعه ، أولاد السفاح . كانوا جميعاً ، وكانهم من الشياطين الحمر ، ذهبوا أولاً إلى مصر ، ومنها ركبوا الحمير ، ووصلوا إلى المدينة مع الحجاج . قدم عشرة منهم هداياهم إلى شيخ الحرم (\*) وقد تذرروا فى زى العلماء . فقام شيخ الحرم بتخصيص مكان فى الحرم الشريف . أما العشرة الآخرون ، فقد ظلوا خارج المدينة ؛ يشتغلون بزخرفة المباني وتكليسها وحمل القمامة . استمروا ثلاث سنوات فى حفر الأرض ، وشق نفق تحت أرض المسجد النبوى الشريف ، حاملين التراب ، والأنقاض فى أكياس يبعدونها . وبينما لم يعد بينهم وبين قبر المصطفى سوى ستة أزرع . هناك ، فى الشام ، يرى نور الدين شهيد النبى عليه الصلاة والسلام فى منامه وهو يخاطبه متفضلاً :

« يا نور الدين .. إن هؤلاء الملاعين يحفرون قبرى ، ويريدون أن يسرقوا جسدى ، لكى يهربونه إلى بلاد الكفر ، إنهمض ، وإلحق بهم » ويريه النبى عليه السلام هؤلاء الملاعين ، واحداً ، واحداً . ينهض نور الدين شهيد ، ولم يُضيع الوقت سدى ، بل أعد ستة آلاف رجل ، وقطع المسافة التى تبلغ خمس وعشرين مرحلة ، فى ثلاثة أيام ، وثلاث ليالى ، وكأنه العاصفة . وما أن وصل إلى المدينة المنورة حتى أولم

= بعد أن قضى فى الحكم ثمان وعشرين سنة اتسمت بالعدل وجلائل الاعمال . انظر : « شمس الدين سامى ، قاموس الاعلام ج٢ ص ٤٤٦٠٧ . وهو الذى أمر ببناء « دار العدل » ، وعُين فيها محلاً للملك ومحلات لقضاة المذاهب الأربعة ، والمفتى ، لتجرى فيها أحكام الشرع . انظر : تاريخ جودت ، ج١ بيروت سنة ١٣٠٨ هـ ص ٥١ .

(\*) شيخ الحرم : Sayh-ül Harem

مصطلح إدارى كان ، وما زال يُطلق على العالم الذى يتولى أمور الحرم الشريف فى مكة المكرمة ، وكان هذا التعيين يتم من قبل السلطان ويحدد له راتبه ومخصصاته المالية جنباً إلى جنب مع المهام الوظيفية . وكان يُطلق على العالم الذى يتولى أمور المسجد النبوى ، شيخ الحرم النبوى . ولما كانت الشام تقع على طريق الحج ، فقد أُطلق هذا اللقب فى بعض العصور على والى الشام . انظر : محمد زكى باق آكين ، عثمانلى تاريخ ديملى وتريملى سوزتكى . ج٣ استانبول سنة ١٩٨٣ م) المترجم

وليمة كبيرة ، ودعى إليها كل مَنْ فى المدينة من الغرباء جنباً إلى جنب مع الأهلين .  
وأصر على أن يصافح الحاضرين مُرحباً ، ولكنه لم ير هؤلاء الأشخاص الذين رأهم فى  
رؤياه ؛ فسأل مَنْ حوله :

– «أهناك من فقراء المدينة من لم يحضر وليمتى ؟» .

فأجابوه :

– «إن هناك عشر رجال ، مشغولون بالصوم ، والعبادة ، منذ ثلاث سنوات ،  
يعيشون فى حجرة بمدرسة باب الشفاء ، وهم لا يأكلون ولا يشربون ، بل شغلهم  
الشاغل هو العبادة ..» . فقال نور الدين شهيد : «أسرعوا ، وأحضروا هؤلاء الرجال  
إلى هنا ، لينالوا صدقاتنا ، وليأكلوا طعامنا» .

وما أن مثل أمامه هؤلاء الرجال حتى تعرف عليهم ، فهاجم مقر إقامتهم ، فوجد  
مئات من الفئوس ، والكواريك ، والمقاطف ، والمعاول . وما أن أمر بإنزال العقاب بهم  
فوراً حتى انتفض واحد منهم – وقد خُيل للبعض أنه على وشك الهلاك – وهجم  
على نور الدين ، وأطلق آخر النيران من بندقيته .

وتحت وطأة ما ذاقوا من عذاب ، وتنكيل ، اعترفوا بكل شئ ، وتم القبض على  
الآخرين الذين كانوا يتظاهرون بجمع القمامة على حميرهم . وتم كشف النقاب عن  
النفق الذى حفروه ، ودخل نور الدين شهيد بنفسه إلى هذا النفق الذى لم يكن قد  
بقى بين نهايته والقبر النبوى سوى خطوة واحدة . وأجبر هؤلاء الملاحين على الكلام ،  
فأعترفوا قائلين : «.. نحن من رهبان أسبانيا .. منذ أن ظهر دين محمد ، ونحن لا  
يقرلنا قرار ، ولا تطمئن لنا نفس ، ولا يهدأ لنا بال . لقد أخذ العرب ديارنا ، وفتحوا  
أقدس بقاعنا .. فكرنا كيف ننتقم منهم ؛ وكنا حسب خطة ، وتدبير الراهب ؛  
الأب ، سنقوم بتهريب جسد نبيكم محمد إلى روما . وبهذا الشكل كنا سنسترد  
القدس ، والأندلس ، وأفريقيا ، وسوريا ونتوطن بها نحن ، أما العرب فليعودوا ثانية  
إلى صحراءهم» .

تابعوا اعترافهم قائلين :

« لقد وصلنا خطاب من الباب قبل شهر ، وأمرنا أن نستمر فى أعمالنا قائلاً لنا فى  
خطابه لو استطعتم أن تحضروا جثمان محمد إلى روما ، أو أسبانيا ، فإننا سنجعلها

هي الكعبة ، وسيأتى إليها سنوياً عشرات الألوف من العرب ، والترك ؛ وسنتقاضى من كل قادم مائة قطعة ذهبية . وسأوليكم على التربة » .

هكذا إعترف الملاعين . ثم توجهوا بالرجاء . والتوسل إلى نور الدين شهيد معبرين عن ندمهم ، سائلين إياه .. « - هل إذا أسلمنا تُطلق سراحنا ؟ » ولكن نور الدين لم يتجاوب مع توسلاتهم ، ولم يخدعه ندمهم ، كما لم يقتنع برغبتهم فى الإسلام حيث أنه يعلم أنهم جبلوا على الكفر ، ولُقِنوا الملعنة والخذاع . فأمر بقتلهم جميعاً . ومنذ ذلك التاريخ ، لم يعد يُسمح لأى يهودي ، أو نصراني بأن تطأ قدماه النجسة أرض مكة ، والمدينة الطاهرة .

### **نور الدين شهيد يشرع فى بناء الروضة المطهرة لسيد العالم وفخر الكائنات .. الرسول الكريم :**

استقدم نور الدين شهيد أساتذة العمارة ، وأمهر حرفييها ؛ من الشام إلى مكة ؛ والمدينة المنورة ، وجمع من المدينتين المباركتين ، ومن الشام ، وحلب آلاف القناطير من النحاس ، والرصاص ، والحديد ، والقصدير . فى البداية قاموا بهدم القبلة التى كانت مشيدة على قبر الرسول الكريم . وتركوا حوله مسافة عشرين ذراعاً . ثم أمد بحفر الخنادق التى كان عمق كل منها عشرين ذراعاً أيضاً ، وعرضها عشرة أذرع . ثم أقام القضببان على جهاته الأربع ، وجعلوها كالشبكة الحديدية ، وأصبح المكان المدفون فيه الجسد الطاهر ، وكأنه صندوق معلق - ثم جعلوا الشبكة الحديدية ، وكأنها حوض ، ثم تم صهر النحاس ، والقصدير ، والرصاص ، وصُبَّ فى هذا الحوض ، حتى تحول إلى كتلة واحدة ، من البرونز ، أو النحاس الأصفر . وهكذا أصبحت الجهات الست ، لمقام الرسول الأمين من البرونز . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد أمر بحفر خندق آخر يبدأ من الجدار الذى أقامه الخليفة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ويصل حتى باب جبريل . ومن هناك حتى داخل الجامع ، وغطى هذا الخندق بقفص ، أو شبكة حديدية ، قضبانها فى سمك خصر الإنسان ، حتى أصبح وكأنه سد الإسكندر . كما أقام فوق القبر قبة ذات مقصورة حديدية .

هناك آراء أخرى ، تدعى أن الذين قصدوا التعدى على جثمان النبى الأمين هم الرافضة . ولكن هذا رأى خطأ تاريخى ، وليس له ما يأكده من الأسانيد ، والبراهين ، وأن هذا التدبير من عمل الكفرة الأسبان .

## وصف قبة حضرة سيد الكونين،

هذه القبة النورانية ، مقامة على إرتفاع خمسين ذراعاً ، مشيدة فوق تسعة عشر عموداً ، داخلياً ، وخارجياً . مغطاة بالرصاص المنقوش ، وبين الكمرات الموجودة على جوانبها الأربع - توجد مقصورة حديدية ، وقد سورت أطرافها بزخارف نباتية ، كالورد ، والسنبل والأرجوان ، والتلب ، وكلها مصنوعة من أسلاك فضية ، وحديدية رقيقة ، وتخيل للناظر ؛ أنها زهور حقيقية ، لا ينقصها إلا روائحها ، ولكن الرائحة التي تفوح ، ويعبق المكان بها ، وهي رائحة الحبيب الأزكى ، وناحية رأس النبي ، وفوق القفص الموجود لوحة فضية مكتوبة بالخط الجلى تقول « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وجوارها كتبت عبارة « هذا النقش قد أعد فى زمن السلطان قايتباى » . ومرقد السيدة فاطمة الزهراء ، ومزارها ، هو الآخر ، داخل مقصورة ، تقع جنوب المقصورة النبوية .

## آداب زيارة الروضة المطهرة،

إن الرسول الكريم ؛ مكى ، مدنى ، قرشى ، اسمه محمد وهو محمود ، ولم يكن إسم محمد معروف بين العرب حتى ذلك التاريخ . كان يلقب بالأمين ، وبعد أن اصطفاه الله بالرسالة ، أصبح المصطفى ، أبوه هو عبد الله ، وجده الثامن والعشرين ، هو اسماعيل عليه السلام ، وجده التاسع والعشرين ، هو سيدنا ابراهيم الخليل وفى الليلة التى شرف فيه العالم بمقدمه ( ﷺ ) ، قامت قيامة عالم الكفر ؛ تهدم إيوان كسرى ، وأطفئت نار المجوس . أمه هى السيدة أمينة بنت وهب ، أما والدته فى الرضاة هى السيدة حليلة السعدية عرج إلي السماء فى مكة ، وهاجر إلى المدينة ، وهو فى الحادية والخمسين من عمره الميمون . بلغ فريضة الصوم فى السنة الثانية للهجرة ، وتحولت قبلته من القدس إلى الكعبة المشرفة . استمرت الرسالة النبوية ثنتا وعشرين سنة . حضر بذاته الشريفة ثمان وعشرين غزوة ، وخاض بنفسه غمار التاسعة منها . نزل جبريل الامين بأوامر الله إلي وجه الارض ثلاثين ألف مرة ، علي الأنبياء السابقين ، وسبع وعشرين ألف مرة على الرسول المصطفى وحده . والله أعلم . عاش عليه السلام ثلاث وستين سنة مباركة .

أما عن آداب الزيارة ، فعليك إذا ما أردت أن تؤديها ، أن تغتسل متطهراً ،

وترتدى الملابس الطاهرة النظيفة . وأن تتمسح بالطيب الزكى الرائحة . وأن تتجه بالقلب ، والروح ، والفؤاد معاً فى التوسل ، والدعاء . كن متادباً ، وأنت فى حضرة المصطفى ، فكيف تكون وأنت مائل بين يدي السلطان ، أو ملك دنيوى ، فيجب عليك أن تكون فى وجل ، وخجل ، وتادب ، يزيد عن ذلك ألف مرة ، لأنه عليه السلام ، لم يمت وإنما غير الدنيا فقط - فقد سُمع صوته الرخيم من قبره المبارك كثيراً .

هكذا ؛ ما أن تطأ قدماك الجامع النبوى الشريف ، من باب السلام . وما أن تتراء لك قضبان المقصورة ، عليك عندئذ أن تسير الهويناً من وراء دليلك ، وأنت تُردد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ (\*). ولا بد أن تكون فى صحبة مطّوف يقوم لك بدور الدليل . (بيت) .

من لم يترك المحبوب لا يعرف طريق الحانه

ولا يستطيع كل انسان أن يعرف طريق السلطان بلا دليل (١)

ضع يديك على صدرك ، وعند إقترابك من المقصورة ؛ اقرأ هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) (\*\*). وانحنى قائلاً : « السلام عليك يا رسول الله » ، وتقدم رويداً ، رويداً ، داعياً متوسلاً ، ولا تحبس دموعك الجائشة إن انهمرت . وعندما تصل إلي المقصورة ؛ اقرأ السلام قائلاً :

« السلام عليك يا رسول الله ... السلام عليك يا نبي الله .. » استغفر ، ادعو ، توجه بالدعوة ، والتوبة ، والتوسل وأنت تمسح على وجهك بكلتا يديك . ثم عليك أن تخطو خطوتين ، شرق المقصورة ، لكى تُسلم على سيدنا الصديق .

### زيارة سيدنا أبى بكر الصديق :

يرقد سيدنا أبو بكر الصديق ، أيضاً ، داخل هذه المقصورة . فعلى الزائر ما أن يصل إلى جواره حتى يُحى قائلاً : « السلام عليك يا سيدى أبى بكر الصديق » وأن يقرأ الفاتحة ، ويرجو الشفاعة ، ويهبها إلى روحه الطاهرة .

(\*) سورة الإسراء آية ٨٠ .

(١) [جانينى ترك ايتمه ين حانه اولماز آشيننا بى وسيله هر كيشى سلطاناه اولماز آشيننا] .

(\*\*) سورة الاحزاب آية ٥٦ .

كان إسمه الأول **نُوَيْسَ** عبد الكعبة ، ثم سماه الرسول عبد الله ، وكانوا يطلقون عليه ابن أبي قُحافة ، ويتصل نسبه بنسب النبي ﷺ عند كعب . لُقِّبَ بـ « الصِّدِّيقِ » لأنه أول من صدَّق النبي ﷺ . « بيت »

**هو الصِّدِّيقُ الأكبرُ في الصداقة وقد جعله النبي وليَّ العهد**

ولقد أصبح خليفة لرسول الله ﷺ . توفي **نُوَيْسَ** سنة ١٣ هـ = ٦٣٤ م . وفي ليلة وفاته ، صدح صوت من الروضة المطهرة ، ، قبيل الصباح ، وهو يناديه « تعال إلي جوارى » . وقد سمع كل سكان المدينة هذا الصوت . هذا ، وفي الأثر أن عمر **نُوَيْسَ** عنه بينما كان يُنزل الصِّدِّيق ، إلى جوار المصطفى ، بدت له يد الحبيب الشفيق وهي تُشير إلي جواره ، وتشد طرف ثوب الفاروق **نُوَيْسَ** فيفهم أنه سيُدفن هو الآخر في هذا المكان الطاهر .

على بُعد خطوتين نحو الشرق أيضاً ، يرقد سيدنا عمر الفاروق ، تحت القبّة المباركة ، مع الحبيب الشفيق « ﷺ » . وعلى الزائر ، أن يُحى قائلاً : « السلام عليك يا عمر الفاروق » ويقرأ الفاتحة على روحه الطاهرة . وعند طرفي قدمي الرسول المباركتين يوجد « مقام جبريل » .

وهو داخل المقصورة النبوية . ويجب عليك أيها الزائر أن تقرأ الدعاء في خشوع وتوسل « السلام عليك يا جبريل الأمين » . بعدها يتوجه الزائر ، بالدعاء الذي يتوخاه لنفسه ، ولأهله ، والأقربين في الدنيا ، والآخرة . وبعد أن يفرغ من دعائه ، وتوسله ، يتجه نحو الشمال ، بسبع خطوات حيث تكون فاطمة الزهراء ، كريمة ، وحبيبة ، رسول الله . وجسدها الطاهر مسجى تحت القبّة النبوية أيضاً ، ولكنها في مقصورة خاصة بها . يقترب الزائر بخضوع ، وخشوع ، وأدب ، ويُحى قائلاً : « السلام عليك يا فاطمة الزهراء ، يابنت رسول الله . . » . ثم يقرأ الفاتحة ، واهباً ، متشفعاً . ومن عادات أهل المدينة ما أن يولد لأحدهم بنتاً حتى يُحضرونها إلى الحرم النبوي الشريف ويقفون بها ساعة أمام مرقدتها الطاهر . وإليها أي إلي السيدة فاطمة الزهراء . يصل نسب كل السادات الكرام .

**مناقب سيدنا عمر الفاروق :**

تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق سنة ١٣ هـ للهجرة النبوية . وكانت وفاته سنة

٢٣ هـ = ٦٤٣ م .

## أصبح مقدماً على العالم أجمع بعدله

### ثم كان نائباً .. والياً علي مكة

والدته ؛ هي جسيمة بنت هاشم ، وأبو جهل هو خال سيدنا عمر ، وكان النبي المصطفى هو الذي لقبه بالفاروق ، لأنه كان يفرق بين الحق والباطل . وقد كانت من عادة النبي الكريم ، أن يلقب صحابته ، بألقاب عرفوا ، واشتهروا بها . وسُمى أصحابه الذين كانوا يقرأون عليه القرآن بالحفظة . وكانت بنات سيدنا عمر ، من الحفظة ، الحافظات ، اللاتي حفظن القرآن ، اشتهرن بالذكاء ، وكان سيدنا عثمان عند جمعه القرآن يسمّع لهن ، ويأخذ عنهن ، وقد استشهد سيدنا عمر ولقي شهادته على يدي أبي لؤلؤة الفارسي المجوسي سنة ٢٣ للهجرة .

وعلى مسافة ثلاث خطوات من كوشة السيدة فاطمة الزهراء يوجد مقام أهل العرفان :

### مقام أهل العرفان:

عليك أيها الزائر أن تقرأ الفاتحة بجوار هذا المقام على أرواح أهل العلم والعرفان ثم تُوزع الصدقات سراً ، على الفقراء ، والمحتاجين الجالسين بجواره . وحذارى أن تُظهر تصدقك ، أو أن يراك أحد ، وأنت تُخرج النقود ، من حافظتك ... وإلا ، فإن كل ما معك لن يكفي ، بل ولسوف يمزقون ملابسك ، وهم يتزاحمون حولك ، وربما وصل بهم الأمر إلى إيزاء المتصدق . أو يصرخون ، ويولولون ، وهم في حضرة رسول الله ﷺ . والواجب ، والأصح ، والاسلم ؛ أن يتصدق الزائر بأي شيء ، وهو في داخل الحرم .

هناك سبعمائة خادم من الطواشية<sup>(١)</sup> يعملون في الحرم ومعهم ثلاثمائة مفتاح من

(١) الطواشية : طواشي "Tavasi" مصطلح يُستخدم في السرايات والقصور بدلاً من الخادم . وكانت هذه الطائفة تختار من الذكور الذين يتم خصيهم ؛ لكي يُحال دون قدرتهم على التناسل .. فالخدمة في القصور معروفة منذ أقدم العصور ، وقد شاعت بين المصريين ، والبابليين والآشوريين القدماء . ثم راجت عند اليونانيين ، ثم انتقلت الطواشة منهم إلى الرومان والإفرنجية ، ويقال أن أول من قام بهذا العمل هو سميراميس الملكة الآشورية في الألف الثاني قبل الميلاد .

ويُسجل التاريخ أسماء العديدين منهم الذين اشتهروا إلى الخدمة - بالقيام بأعمال جليلة ، وكانت لهم دراية ، =

## الذهب . وعدا هؤلاء ألف خادم آخر للجامع ، فإذا ما شاهدوا المتصدق وهو يُخرج

بوخيرة كثير من الأمور ، وإن البعض منهم قام بأعمال فدائية وبطولية كبيرة . منهم « مَرْمَس Mermes الروماني ، وكافور الأخشيدى الذى حكم مصر ، وكان طواشياً أسوداً ، وأرجوان الذى كان طواشياً أبيضاً وإدار دفة الحكم لمدة طويلة فى أيام الحاكم بأمر الله . وكان منهم مَنْ تولوا المناصب العليا فى الهند وفارس والصين .. وكانوا من أصحاب النفوذ فى أواخر عهد الدولة الرومانية .

وسجل التاريخ أيضاً أن بعض الخصيان « الطواشية » قد تولوا المناصب العالية كالعسكرة ، والوزارة فى العهد العثماني أمثال على باشا الخادم ، وسليمان باشا الخادم .

وقد تم الاستمرار فى هذه العادة فى العالم الإسلامى لعدة أسباب ؛ كالحوف والغيرة فى الحرم السلطاني ، وعلى الرغم من تحريم ذلك بل تحريم عملية الخصى هذه إلا أن بعض الحكام قد غضبوا الطرف عن منعها .. وكان زيد بن معاوية هو أول من استخدم الطواشية فى الإسلام ، فلقد استخدم يزيد طواشياً يُدعى «فتح» كياورله . ثم تبعه الخلفاء الذين جاءوا بعده فى هذه السنة وهذا مما أدى إلى كثرة استخدامهم فى العالم الإسلامى .

ولما زادت الرغبة فى استخدامهم ، زاد تجار الرقيق من اليهود فى أسماهم ، وبالغوا فى ذلك . وكان هؤلاء النحاسون اليهود يخصون الذكور من العبيد الذين يجمعونهم من شتى الأقاليم المباح فيها تجارة الرقيق .. ويبيعونهم بهذا الشكل .. وقد لاقت رواجاً كبيراً على أيدي هؤلاء التجار اليهود .. وأسوا مجموعة كبيرة من المستشفيات للقيام بهذه المهمة . وكانت أشهرها هى تلك التى تأسست فى مدينة وبردون "Verdun" . وقد اكتسبت شهرتها خلال سنوات الحرب الفرنسية - الألمانية . ولقد نشط تجار الرقيق خلال هذه الحرب ، وجمعوا أطفالاً لا حصر لهم ، وقاموا بخصيهم ، وقد مات الآلاف منهم من جراء هذه العمليات الوحشية ، ومَنْ بقى منهم على قيد الحياة ، كانوا يرسلون بهم إلى اسبانيا حيث يباعوا للعظماء ، والأثرياء بثمان باهظ . ثم رويداً ، رويداً راحت عمليات تبادلهم كهدايا مثل الخيول أو أدوات الصيد وما شابه ذلك . .

فمثلاً كان حكام الفرنجة لكى يدهنوا الحكام العرب المسلمين فى الأندلس كانوا يبعثون لهم مجموعة من الطواشية ضمن الهدايا التى يبعثون بها إليهم . فعندما أراد حاكم برشلونه ، وطارغونه تجديد الصلح مع الخليفة المستنصر فى الأندلس فقد أرسل له عشرين طواشياً من أطفال السلاو ، وعشرين قنطاراً من الفراء الثمين ، وكان الخلفاء يشكلون منهم فرقاً خاصة لخدمتهم والعناية بأمور القصر والخدمة داخله . وكانت طوابير الطواشية تحتل مكانها بين الطوابير الأخرى فى الاحتفال بالجلوس على العرش ، أو تعيين ولياً للعهد أو سائر المناسبات الأخرى .

كان أكثر الطواشية الذين جفبوا إلى العالم الإسلامى يُحضرن من الأندلس حيث تتم عملية الخصى فى الأماكن القريبة منها . أو من ناحية جوراسان حيث كان بعض تجارها يشترون العبيد من بلاد السلاو ويقولان بهذه العملية لهم ، ثم يبيعونهم .

ولابد من الإشارة أيضاً . إلى أنهم كانوا يتدخلون فى شؤون الحكم والإدارة لما يملكونه من نفوذ بسبب حساسية الأماكن التى كانوا يخدمون فيها .

كما يُقال أن بعض المتعصبين المسيحيين كانوا يقومون بإجراء هذه العمليات لأنفسهم لقتل الرغبة الجنسية ، والشهوة فى داخلهم ولكى يوقفوا حياتهم للحياة الآخرة .. ومن أشهر هؤلاء أوريجان "Origen" الاسكندراني وكان عالماً كبيراً فى العقائد المسيحية . بل شهدت العصور الوسطى بعض من المذاهب الدينية المسيحية التى كانت تقوم بهذه العمليات لوقف حياتهم على العبادة فقط . وكان لهم صوتهم المسموع فى ايطاليا .

أما فى الدولة العثمانية ، فقد كان هناك الأعوات البيض = أى الطواشية الذين يجلبون من البلدان الأوروبية ، ويطلق عليهم آق آغا = الأغا الأبيض ، أما الطواشية السود ، فقد كان يطلق عليهم « خادم آغا » أى الأغا الخادم . وكانوا يجلبون من الحبشة أو من أفريقيا عامة .

كان مراد الثانى هو أول من استخدم الطواشية البيض للخدمة فى السراى . قاموا بالخدمة فى أول الأمر ، =

نقوده علناً ، فلربما أصابوه بمكروه ، وقد يصل الأمر إلى ما هو أخطر ، وأهم من النقود ، حيث أن أهل المدينة جميعاً ، أغنياءهم وفقراءهم ينتظرون مقدم الحجيج سنوياً ؛ ومهما بلغت الصدقات ، ومهما بذل الإنسان في سبيلها فهي في محلها ، ولها ثوابها ، ولكن من الأفضل ، والواجب ، أن تكون سراً .

### الروضة المطهرة من الداخل:

لقد تيسر لي أنا العبد الفقير إلى ربه الدخول إلى داخل الروضة المطهرة مع ولي النعمة حسين باشا .

ولقد ارتدينا ملابس طاهرة ، نظيفة ، حلالاً ، وكنا نردد في خشوع وبهجة ، الصلوات الطيبات على فخر الكائنات . وقد أقبل شيخ الحرم ، وفي معيته ثنتا عشر طواشياً ، وهم يحملون المباخر ، ومرارود الطيب ، واصطفوا أمام المقصورة النبوية .

= ثم رويداً رويداً بدأوا يكلفون بأعمال ادارية داخل السراى ، وفي اجنحة الحرم .. وقد وصل البعض من هؤلاء الخدم البيض إلى الوزارة ، والصدارة العظمى ..

أما الطواشية الزوج فقد كانوا في أدنى المراتب في الخدمة ، وكان يُطلق عليهم (الأدنى) . وكان الخادم الجديد يمثل في بادئ الأمر بين يدي آغا در السعادة « أى بين يدي خادم العتبة السلطانية . ثم يُسلم إلى «مرمى الأوضة = اوضه لاله س» ، وبعدها يصبح من الخواص . ثم يُرسل أقدمهم تبعاً إلى «الأغا غلام الباب الرئيسى» لقيده في سجلات السراى . وكان جميع هؤلاء من الطواشية أى من الخصيان ثم يُربون على الطاعة ، والخضوع وأول دروسهم تقبيل اليد بمن هم أقدم منهم من المربين ، وهم أيضاً من الطواشية . وكان يُطلق على الحديث منهم الأغا الأعجمى « أى الذى لا يعرف شيئاً بعد .

وكان خمسة منهم يمسون نوبة الخدمة على باب الحرم فى السراى السلطانى ، أو على باب الحرم فى أى قصر . ويطلق على أقدمهم «قلفة النوبة» . وكان آغا عتبة السعادة هو الذى يسلمهم المفاتيح ويتسلمها منهم عند تجديد النوبة .

يتلو فى المرتبة «الأوسط» ؛ وهم بدورهم أربع درجات ، أقدمهم يتولى تنظيم النوبتجيات ، النوبات أمام الأبواب ، ويشرف عليهم ، رهم المسئولون عن فتح وغلق الأبواب .. ثم يتدرج الأقدام فيعين غلاماً على الباب الرئيسى ، ويصل إلي أن يكون هو المسئول عن بوابة السراى الرئيسية . ثم يحظى صاحب الحظ الوفير منهم على لقب «آغا عتبة السعادة» . وهذه أعلى منزلة فى السراى السلطانى .

وفى سنة ١١٢٧ هـ = ١٧١٥ م لما تولى داماد على باشا والى مصر الصدارة فى عصر السلطان أحمد الثالث ، أصدر أوامره بإلغاء نظام الطواشية لكى يتخلص من لقب الطواشى الذى كان يلازمه خاصة وأن الطواشية الزوج أى السود كانوا يجلبون من السودان إلى مصر ، ومنها إلى بقية ولايات الإمبراطورية . بعد أن يتم خصيم فى مصر .

بالرغم من هذا المنع ، إلا أن هذا لم يمنع الدولة العثمانية ، وإن كان بشكل أقل .

وكان آغا در السعادة أى آغا عتبة السعادة عند تغيير السلطان ، أو كبر سن الأغا يبعث به للعمل والخدمة فى الحرمين

الشريفين . «الترجم»

وقام شيخ الحرم بلف حسين باشا بفاطمة بيضاء ، ثم سلمه مكنسة ، وكنا - والعبد الفقير - سبعة أشخاص ، وكل منامعه مكنسته . وناب شيخ الحرم عن السلطان ، وأخذ هو الآخر مكنسة في يده . وفتح باب المقصورة ، ودخل الإثنى عشر طواشياً ، ثم أغلقوا الباب ، ولم يُسمع لأى إنسان آخر ، بالولوج إلى الداخل .

وكانوا يرددون عند دخولهم « دستور يا بنت رسول الله » أي الإذن يا بنت رسول الله حيث أنه لا بد من المرور من جوارها ، عند التوجه إلى مقصورة النبي الكريم .

قَبْلُ الباشا (١) ، والعبد الحقيير ، الأرض بين يدي خير الكائنات طالبين الشفاعة . ثم بدأنا في تنظيف المكان . وكان مجموع الذين في داخل المقصورة قد أصبح خمسة عشر فرداً . ولكنني أنا العبد الفقير ، فقد فقدت وعي ، وجاشت روحي من العشق والجوى ، وكنت كلما عدت إلي نفسي ، ووعيت ما حولي ، عدت إلى التوسل بشفاعة الحبيب المصطفى . ثم أشعلت ثلاثة قناديل . وفي وسط القبة الطاهرة ، تماماً ، تتدلى ناموسية « كله » رقيقة ، لم تر عيناها ، لها ، مثيلاً ، في طول الأرض ، وعرضها سواء من ناحية الإبداع ، في الصنع أو القيمة . ولا يُسمح قط بدخول أي أحد تحتها ، حيث أن جسد الحبيب المصطفى مسجى في صندوق مغطى بجزء من غطاء الكعبة الشريفة الأخضر .

في هذا المكان الطاهر ، من المجوهرات ، والشمعدانات الذهبية والقناديل ، المرصعة ، ما لا عين رأت ، ولا خطر على عقل بشر ، ولا يعرف حصرها أو قيمتها سوى الله سبحانه وتعالى .

ويدخل المسئولون ، والخدم ، هكذا مرة واحدة كل عام ، ليزيلوا ما قد يكون قد علق بهذه التحف النادرة من غبار .

وسيدنا أبي بكر ، وعمر ، راقدان هنا تحت القبة أيضاً . أما السيدة فاطمة ، فهي

---

(١) الباشا : Pacha = Pasa لقب كان يُمنح لكبار الموظفين في الدولة العثمانية ؛ سواء من المدنيين أو العسكريين ، ويقول هاجر ؛ إنها تدل على الشخص الذي ينيب السلطان في إدارة أمر ما ، أو القيام بمهمة محددة . على اعتبار أن السلطان يعتبر موظف في الدولة بمثابة قدمه الراسخ في أنحاء البلاد . وكان السلطان يحب تشبيه موظفيه ببعض أعضاء جسده ؛ فالموظفون الكبار عينيه ، ورجال الشرطة أذنيه ، ورجال المال يدبه ، والجنود قدميه . . وكان هذا اللقب يمنح لبعض العلماء والفنيين تعظيماً لهم ، وتقديراً لدورهم . وفي بعض فترات التاريخ العثماني تم وقف هذا اللقب على الوزراء ، والصدر الأعظم فقط . « المترجم »

خارج القبة . وبين الكلّة المسدولة ، والمقصورة الخارجية ثلاث خطوات ، وقد رُصّع هذا المكان بأثمن الاحجار ، الكريمة ، كالعقيق ، والفيروز ، والزبرجد ، والكرستال ، والبلور ، والشريات ، ولذلك لم يفرش هذا المكان بالسجاد ، أو ما شابه ذلك ، أما الكرات الذهبية ، والمجوهرات ، والقناديل المعلقة ، داخل القبة ، من ذلك النوع الذى لا مثيل له ، ولم يخطر على عقل بشر ، ومن يراها يفقد وعيه ، وإدراكه . لم يكن فى القبة مكان خالٍ ، بل لقد علقوا هذه التحف النادرة ، فى سلاسل ، متدلّية ، من زوايا القبة . ويمتلئ المكان بالشمعدانات الذهبية الخالصة التى تصل أطوالها قامة الرجل أما الغطاء المسدول أمام الرسول الكريم ، فقد ثبت فيه قطعتين من الماس ؛ إحداهما سبعون قيراطاً ، ويعلم الله أننى نظرت إليها ليلاً فإذا القبة قد أنيرت من أشعتها وضيائها . بل يردد البعض ، أن بعض الدارسين يقرأون على نورها .

يصل ارتفاع القبة خمسين زراعاً ، وقد نُقشت على أطرافها الآية الكريمة ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ (١) .  
وهكذا بعد أن تمت الزيارة ، استأذنت خارجاً .

وفوق المقصورة نُقشت الآية الكريمة ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ .

كما توجد لوحة معلقة مكتوب عليها ﴿ وكفى بأولئك شهيداً ﴾ . هذا وقد كتبت أنا - العبد الفقير - بالقدر الذى سمحت به قدراتى . ولم أنس قط ؛ أننى قد كنت ، وأنا فى سن الخمسين ، وأنا فى شبابه - قد قمت بالآذان فى رؤياى ، وأنا فى الحضرة النبوية ، وقبلت يديه الكريمتين ﴿ ﷺ ﴾ وبشرنى عليه السلام قائلاً متفضلاً : « الشفاعة ... الزيارة ... السياحة .. الفاتحة .. » ، حمداً وشكراً لله فقد تحققت بشرة الحبيب هذه السنة .

ومنذ أن خرجنا ، من خيامنا ، فى قلعة مزيرب ، بالشام ، وحتى الآن قد انقضى سبعة عشر يوماً ، أو كادت . وخلال هذه المدة ختمنا القرآن سبع مرات ؛ وإن كنت قد تركت فى إحداها و « والضحى » وفى الأخرى « يسين » وفى بعض « الإخلاص » فقد يسر الله لى إتمامها جميعاً هنا ، والحمد لله ، وقد أهديت ثوابها جميعاً إلى روح

(١) سورة النور آية ٣٥ .

الشفيع المشفع ، وسألته عليه السلام الشفاعة . هذا وقد يسر الله لى إتمام الختم الشريف ، عند صلاة الظهر ، في محفل المؤذنين . وقد شرح الله صدرى ، وفتح عليّ ، بدعاء من البحر الطويل ، وما أن رددته ، وردده الجمع ، الغفير ، من الحجيج ، الملتفين حولى ؛ حتى إغرورقت أعيننا جميعاً بالدموع ، وبهرتهم الدهشة .

هنا تمت كل مناسك زيارة الحرم النبوي الشريف

\* \* \*